Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وترجمانه اللبنانى الذى صار بعدئذ بطريركًا عظيمًا، وذاك المستعرب بركا هارت وقد دخل مكة حاجًا، وهذا شارل دوتى الذى تنكر باسم خليل ليستطيع الطواف هناك، وكل هؤلاء من الأجانب يسيحون فى بلاد كانت قديمة ولا شك بلاد أجدادى، وأنا فى نيويورك أديب يطرق باب المحرر الأمريكى المتغطرس، أديب شعره طويل، وصدره عليل، يصرف من ذهب الحياة لتسوية المقالات، وآلة كاتبة يرقص حولها الأمل والهم متخاصرين. لقد رافقت العرب فى خروجهم على الترك فى أثناء الحرب، رافقتهم فى المجلات الإنكليزية والعربية، فكنت أقوم فى ما أكتب ببعض الواجب الذى يفرضه الحب والإعجاب. وتوقفت فى تلك الأيام فزرت الأندلس فوقفت فى «الحمراء» فى الغرفة التى كتب فيها واشنطن أرفين كتابه النفيس، فسمعت أصواتًا تنادينى باسم القومية ومن أجل الوطن وتدعونى إلى مهبط الوحى والإلهام».

ومع أن الريحانى اهتم كثيراً بالقضايا الفكرية والاجتماعية والقومية إلا أنه اهتم كثيراً بالأدب والشعر والنقد، وبخاصة فى مطلع حياته الأدبية. والمعروف أنه أول من بدأ كتابة الشعر المنثور فى هذا العصر عند العرب وذلك بدءاً من عام ١٩٠٧. وهو يروى تجربته فى هذا المجال على الصورة التالية: «كنت طالعت المعلقات فحالت الألفاظ فى أكثرها دون المعانى، وطالعت دواوين الحماسة فكنت أظننى وأنا أتنقل من ديوان إلى آخر، أنى أطالع ديوانًا واحداً تعددت أساميه. وقرأت ابن الفارض فأسفت على فلسفة روحية صوفية تتقاذفها أمواج الألفاظ وتجعلها غريقة الجناس على الدوام، وفتشت فى الدواوين العربية عن استعارات يمتاز بها هذا الشاعر عن أخيه، وعن وجهات للنظر جديدة، وعن صور فى الشعر تمثل ما وراء المحسوس والمنظوم فلم أجد غير التقليد والتقييد والتبذل. وما يؤسف له أيضًا أن فى هذه الدواوين ـ ولا أستثنى منها ديوان المتنبى ولا لزوميات المعرى ـ شيئًا من النثر المنظوم. واستغوتنى الأوزان مرة فنظمت قصيدة مكسرة أثرت فيها خواطر الشعراء المَدْرسيين. ولم يكن قصدى غير اكتشاف السبب فى عقم تصور الشعراء وتبذلهم. فتحققت أن التزام القافية الواحدة والأوزان الوضعية يحول غالبًا دون البسط والتدفق، فيضطر الشاعر أن يلجم قريحته لئلا تعثر فى البيت فتكسر رأسها، أو يشذب المعانى الجديدة لتلائم الصيغ القديمة أو يختار أهون الأمور فيجيئنا بالنثر المنظوم. لذلك قلت: لا صيغ قديمة ولا قوافى ولا أوزان. وبدل النثر المنظوم جئت